استراتيجيات الخطاب عند ابن المقفع في كتاب كليلة و دمنة

الأستاذ المساعد الدكتور
عبد الله حسيني
الأستاذ المساعد الدكتور
هومن ناظميان
جامعة الخوارزمي - كلية الآداب و العلوم الإنسانية

المقدمة

تحليل الخطاب و الإستراتيجيات المختلفة التي يستخدمها الكاتب في خطابه يساعدنا علي فهم أفضل للمعاني و المفاهيم التي يريد الكاتب ايصالها إلي القارئ. خاصة في النصوص التي تكونت من بني و مستويات مختلفة مثل كتاب كليلة و دمنة. تعددت مفاهيم مصطلح الخطاب بتعدد تصورات المهتمين عنه اذ تنوعت المنطلقات نتيجة فهم المهتمين به علي وفق التطور في ما انتج في مجال نظريته . الخطاب هو مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة أي أنه تتابع مترابط من صور الاستعمال النصي يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق. فهو إذن يشمل النصوص و الأقوال ذات النظام البنائي و البنية المنطقية المنظمة و الخطاب بهذا المعني يكون أوسع من النص في الإطار المفهومي و هو يشمل النص. فالخطاب مجموعة من المنتجات الفكرية التي يراد ايصالها إلي متلق عبر نصوص مكتوبة أو مسموعة أو مرئية ١.

فالخطاب هو مجموعة النصوص التي يربط بينها مجال معرفي واحد يكون فضاؤه أوسع من عالم النص. فإذا كان عالم النص هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة و المنشطة بعد الاختزان في الذاكرة من خلال استعمال النص و يصبح النص جزءا من الخطاب إذ هو أداة من أدوات التخاطب أي أنه مقولة لغوية اسقطت في إطار نظام الاتصال اللفظي البشري٢.

فدراسة الخطاب المستبطن في النصوص التراثية تساعدنا علي فهم أفضل لتلك النصوص و ما ضمّنها كتابها من معان و مفاهيم لإيصالها إلي القراء و متلقي الخطاب.

تطرق الباحثون إلي ابن المقفع و أفكاره في آثاره المختلفة و كتبوا في هذا المجال كتبا و مقالات يمكن أن نشير منها إلي البحوث المنشورة ضمن تاريخ الأدب العربي التي تهتم بابن المقفع بصورة عامة مثل الجامع في تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري و العصر العباسي الأول لشوقي ضيف. و من المقالات يمكن أن نشير إلي: ابن المقفع مقومات شخصيته و فنه الكتابي للأستاذ كمال ابراهيم في مجلة الأستاذ، ١٣٨٢هـ .ق، كتاب كليلة و دمنة وأثره في الآداب الإنسانية لفريد جحا في مجلة المعرفة، ١٩٧٨م. قراءة معاصرة في نص تراثي؛ الحوار في حكايات كليلة و دمنة، لمسلم صبري في مجلة العرب، ١٤١٩ هـ.ق، و الملامح الإصلاحية الإنسانية في أدب ابن المقفع لمتري نبهان في مجلة العرفان، ٢٠٠٤ م.

اما مقالة «مقاصد الكلام و استراتيجيات الخطاب في كتاب كليلة و دمنة لابن المقفع» لبلخير عمر، المنشورة في مجلة الأثر ٢٠١١م فهي أكثر اتصالا بموضوعنا . فتطرق الباحث إلي تحليل خطاب إبن المقفع حسب إستراتيجيات متعددة بصورة عامة كالإستراتيجية التلميحية و الإستراتيجية الخطابية و استراتيجية تعدد الأصوات و الإستعارات التي استخدمها ابن المقفع ولكننا في مقالتنا هذه حاولنا أن نسلط الضوء علي خطاب ابن المقفع في كليلة و دمنة فتطرقنا إلي مقومات خطابه أولا ثم ضيقنا إطار البحث علي دراسة الإستراتيجية التوجيهية و استراتيجية الإقناع و الآليات التي استخدمها ابن المقفع. و يحاول هذا البحث الإجابة عن هذين السؤالين:

١-ما هي محاور خطاب ابن المقفع و مقوماته في كتاب كليلة و دمنة؟

٢- ما هي أهم الإستراتيجيات التي استخدمها ابن المقفع لإرسال خطابه نحو المرسل إليه؟

المبحث الأول

تحليل الخطاب

يعد الخطاب فن من الفنون اللغوية البلاغية المتجسده في الميدان البلاغي ومن ذلك فهو منهج دراسي يقوم بدراسة بني النصوص وخصائصها اللغوية والإجتماعية والثقافية ليبين كيفية نشأة النصوص. في الإتجاه الفرنسي يتجه نحو دراسة النصوص المكتوبة في ظروفها الإجتماعية والسياسية ويستفيد من مناهج تحليل المحتوي و السردية و السمياءية ونقد المعتقدات ويرينا كيف تؤثر علاقات السلطة علي الروابط بين الناس و كيفية نشوء النصوص٣.

بإمكاننا أن نصف تحليل الخطاب بأنه منظومة منسقة من الإجراءات المنهجية يمكن ارجاع جذوره الي ازدهار اتجاهين كبيرين هما الإتجاه اللغوي في تحليل النصوص الذي يبحث عن علاقات النص علي مستوي داخلي يتجاوز الجملة الواحدة و الإتجاه البنيوي و يجمع كلا الاتجاهين معا البحث عن البنية الكلية الكامنة في النص و مظاهرها الخارجية٤.

ظهر تحليل الخطاب في حقل الدراسات المعرفية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية كالأنثربولوجية وعلم الإجتماع و علم النفس الإجتماعي و اللسانيات و السيميائية و الدراسات الأدبية و كل الحقول المعرفية التي تهتم بالدراسة المنهجية للبني والوظائف في مسار تكوين الخطاب٥.

تجاوز مفهوم تحليل الخطاب من الإقتصار علي دراسة العناصر اللغوية البحتة إلي دراسة الظروف الثقافية والإجتماعية والسياسية التي ينشأ الخطاب في طياتها٦ و تطرق إلي دراسة العناصر اللسانية والسيمائية والأسلوبية التي تساعد علي تكوين الخطاب٧. في هذا الإطار تدرس القوالب التي يساق

الكلام فيها والعناصر اللغوية التي تستخدمها المؤلف كالمفردات، اختيار الأسماء والعناوين وكيفية سوق المعاني في الألفاظ واختيار التعابير التي تعكس وجهات النظر العقائدية أو السياسية أو الإجتماعية والثقافية لمؤلف النص أو أثرت علي المؤلف في إخراج نصه بهذه الصورة التي نقرأها٨.

يمكن تقسيم الخطاب إلي أنواع مختلفة حسب محاوره الرئيسة و عمقها و تعقيدها مثل:

١-الخطاب الديني
٢-الخطاب الفلسفي
٣-الخطاب الأخلاقي
٤-الخطاب القانوني
٥-الخطاب الإجتماعي السياسي
٦-الخطاب الأدبي الفني
٧-الخطاب الإعلامي المعلوماتي
٨-الخطاب العلمي المنطقي٩
٥- الخطاب التاريخي :

بإمكاننا أن نعتبر خطاب إبن المقفع في كليلة و دمنة خطابا اجتماعيا سياسيا لأن هذا الخطاب يتحول من الخطاب الديني بعد اختزاله عدة مرات إلي الخطاب الإنساني الذي يبدأ بالمجتمع و يصدر عنه خاصة خطاب الزعماء السياسيين و القادة و الرؤساء و الوزارء و رجال الأعمال. فاللغة اتصال و الإتصال بين الذوات و الذوات أعضاء في المجتمع و في نظام سياسي. الغرض منه الترابط الإجتماعي و الصراع أحد مظاهره أو التأثير في الناس و توجيههم . يكشف كما هو الحال في الخطاب الإيدئولوجي. يكشف الخطاب عن صراع الأهواء و المصالح و الإرادات و القوي الإجتماعية و التنظيمات السياسية١٠. حيث يكشف خطاب إبن المقفع في آثاره عموما و في هذا الكتاب خصوصا عن صراعه مع السلطة في سبيل نقدها والمحاولة لإصلاحها.

محاور خطاب إبن المقفع في هذا الكتاب

يمكن أن نصنف موضوعات هذا الكتاب في أربعة محاور:

١-**أدب الملوك**: كان الملوك في العصور القديمة محور البلاد و قاعدة الأمور و بيدهم السلطة التشريعية و السلطة القضائية و السلطة التنفيذية. و لهذا اهتمت الفلسفات القديمة و لاسيما الشرقية لتوجيه الناس في اختياره كما اهتمت لتوجيه الملك توجيها يضمن سلامة البلاد. و لهذا نري قسما وافرا من هذا الكتاب يختص بصفات الملوك و ما يجب أن يراعي و أساسه العقل و النزعة العقلية. تطرق إبن المقفع إلي السياسة الداخلية و السياسة الخارجية. السياسة الداخلية يجب أن تتجه إلي رفع لواء العدل، حسن اختيار الأعوان و تحصين المملكة بالجند و الإستشارة بذوي الرأي و الخبرة و السياسة الخارجية يجب أن تكون سياسة اللين و السلام.

٢-**أدب الإصلاح**: أراد ابن المقفع أن يكون حكيما و أن يجعل التوازن بين النفس و الجسم وسيلة من وسائل البلوغ إلي الكمال الإنساني الذي نشده بكل جوارحه و هذا الكمال الذي قام عليه شخصيته و أراد أن يقيم عليه مجتمعه .

٣-**أدب الرعية**: إن كان الملك عادلا فعلي الرعية الطاعة و الإخلاص و إن كان ظالما فعليه ضم الصفوف و عدم التخاذل حتي يرجع الملك الظالم عن غيه.

٤-**أدب النفس**: تقديم العقل علي كل الأمور و كفاح النفس و الهوي.١١

المبحث الثاني

مقومات خطاب إبن المقفع في كليلة و دمنة

بإمكاننا أن نلخص أهم مقومات خطابه في هذه الأمور:

١-العدل أساس المُلك :

قال أردشير- مؤسس الدولة الساسانية- لابنه: يا بني إن الملك و العدل أخوان لاغني بأحدهما عن صاحبه فالملك أسّ و العدل حارس١٢. و هذه

الجملة نقلها حرفيا ابن قتيبة و لكن حول التحام الدين و الملك حيث يقول: في كتاب من كتب العجم أن أردشير قال لابنه: يا بني الدين و الملك أخوان١٣... و نري ابن المقفع في بدايات الكتاب يعرض لنا أن بيدبا الفيلسوف يعتقد أن كفاح ظلم الملك و إرشاده نحو العدل و الإنصاف واجب عليه كحكيم و يعرب عن قصده لإصلاح الملك و يقول لتلاميذه « اعلموا أني أطلتُ الفكرة في دبشليم و ما هو عليه من الخروج عن العدل و لزوم الشر و رادءة السيرة و سوء العشرة مع الرعية و نحن ما نروّض أنفسنا لمثل هذه الأمور إذا ظهرت من الملوك إلا لنرُدَّهم إلي فعل الخير و لزوم العدل١٤... »

٢-الحكماء أفضل من الملوك :

مما يؤكد عليه ابن المقفع في كتابه فضل العلماء و الحكماء علي الملوك و الأمراء حيث يشير في غير موضع إلي وجوب طاعة الملوك لنصائح العلماء و يعتبر من لايعبأ بكلام الحكماء جاهلا: إن كان للملوك فضل في مملكتها فإن للحكماء فضلا في حكمتها أعظم لأن الحكماء أغنياء عن الملوك بالعلم و ليس الملوك بأغنياء عن الحكماء بالمال. و قد وجدتُ العلم و الحياء إلفَين متآلفين لايفترقان متي فقد أحدهما لم يوجد الآخر ... و من لم يستح من الحكماء و يكرمهم و يعرف فضلهم علي غيرهم ... كان مِمَّن حُرم عقله و خسر دنياه و ظلم الحكماء حقوقهم و عُدَّ من الجهال١٥.» كما يكثر ابن المقفع من الإستشهاد بأقوال العلماء و الحكام في مواضع متعددة مستخدما جملة «قد قالت العلماء».

٣-ذم الملوك الطغاة :

يذم ابن المقفع الملوك و ذوي السلطان و يتحدث عن مساوئهم مثل الكبر و الإنتهزاية و الأنانية و معاملة الرعية حسب إهوائهم علي لسان طائر يقال له فنزة في بلاط ملك من ملوك الهند : « قبحا للملوك الذين لا عهد لهم و لا

وفاء. ويل لمن يبتلي بصحبة الملوك الذين لا ذمة لهم و لا حرمة. و لا يحبون أحدا و لايكرمُ عليهم إلا إذا طمعوا فيما عنده من غناء و احتاجوا إلي ما عنده من علم فيكرمونه لذلك فإذا ظفروا بحاجتهم منه فلا وُدّ و لا إخاء و لا إحسان و لا غفران ذنب و لا معرفة حق. هم الذين أمرهم مبني علي الرئاء و الفجور و هم يستصغرون ما يرتكبونه من عظيم الذنوب و يستعظمون اليسير إذا خولفت فيه أهواؤهم ١٦... »

و في موضع آخر يتحدث عن لسانه : «إن الأحقاد مخوفة حيث كانت و أخوفها و أشدها ما كان في أنفس الملوك فإن الملوك يدينون بالإنتقام و يرون الدَرَك و الطلب بالوتر مكرمة و فخرا١٧» تذكرنا هذه الجمل و العبارات في وصف أحقاد الملوك و نكرانهم للجميل بقصة غدر أبي جعفر المنصور بأبي مسلم الخراساني الذي لعب دورا رئيسيا في استقرار الخلافة العباسية و تقويض أركان الخلافة الأموية لكن المنصور دبر مؤامرة و قتله غدرا.

٤-تصوير الملك المثالي :

حاول ابن المقفع أن يعرض خلال هذا الكتاب صورة لحاكم مثالي في مواضع متعددة و تحدث كثيرا عن المحاسن التي يجب أن يتمتع بها الملوك و عن المساوئ التي يجب عليهم أن يتجنبوها. علي سبيل المثال عندما بدأ ندم دبشليم علي غضبه و أمره بإدخال الفيلسوف في السجن قال في نفسه : « و قد قالت العلماء أربعة لا ينبغي أن تكون في الملوك: الغضب فإنه أجدر الأشياء مقتا و البخل فإن صاحبه ليس بمعذور مع ذات يده و الكذب فإنه ليس لأحد أن يجاوره و العنف في المحاورة فإن السَفَه ليس من شأنها١٨.»

و في خاتمة الكتاب عندما يمدح بيدبا دبشليم يصفه بمكارم الأخلاق و يظهر سروره و يعرب عن فرحه لإصلاح سيرة الملك قائلا: « فقال الفيلسوف: أيها الملك... فإنه قد كمُل فيك الحلم و العلم و حسُنَ منك العقل و النية و تَمَّ فيك

البأس و الجود و اتفق فيك القول و العمل. فلا يوجد في رأيك نقص و لا في قولك سقط و لا عيب. و قد جمعتَ النجدة و اللين.١٩.. »

٥- الدعوة إلي مكارم الأخلاق :

في بداية الكتاب عندما يلتقي بيدبا الفيلسوف بدبشليم الملك لأول مرة يلخص بيدبا مكارم الأخلاق في أربعة أشياء و هي المحاور الرئيسة التي نجدها سائدة علي مضامين الكتاب و مبثوثة في تضاعيفها. « فقال بيدبا: إني وجدتُ الأمور التي اختص بها الإنسان مِن بين سائر الحيوان أربعة أشياء و هي جُماع ما في العالم و هي: الحكمة و العفة و العقل و العدل. و العلم و الأدب و الروية داخلة في باب الحكمة و الحلم و الصبر و والوقار داخلة في باب العقل و الحياء و الكرم و الصيانة و الأنفة داخلة في باب العفة و الصدق و الإحسان و المراقبة و حسن الخلق داخلة في باب العدل٢٠.»

٦-التركيز علي العقل :

يجب أن يكون الملك عاقلا مدبرا و الذي لا يتمتع بهذه النعمة ليس صالحا ليأخذ مقاليد الحكم. و العقل أهم وسيلة للنجاة من المهالك و الخروج من المزالق. فلا نري بطلا من أبطال الكتاب ينجو من مهلكة إلا بالحزم و العقل. و النماذج في هذا المجال كثيرة مبثوثة في تضاعيف الكتاب. علي سبيل المثال، في باب «بعثة الملك أنوشروان كسري...» يمدح العقل و يشير إلي أن العقل أفضل نعمة أنعمها الله علي الإنسان علي لسان بُزُرجمِهر: « فأفضل ما رزقهم و منَّ عليهم به العقل الذي هو قوة لجميع الأحياء . فما يقدر أحد منهم علي إصلاح معيشة و لا إحراز منفعة و لا دفع ضرّ إلا به... فالعقل هو سبب كل خير و مفتاح كل رغبة و ليس لأحد غني عنه...٢١ » و في باب «القرد و الغيلم» يتحدث علي لسان القرد: «ينبغي للعاقل ألا يغفل عن التماس ما في أهله و ولده و إخوانه و صديقه عند كل أمر و في كل لحظة و كلمة و عند

القيام و القعود و علي كل حال فإن ذلك كله يشهد علي ما في القلوب و قد قالت العلماء إذا دخل قلبَ الصديق مِن صديقه ريبةٌ فليأخذ بالحزم في التحفظ منه وليتفقد ذلك في لحظاته و حالاته فإن كان ما يظنُّ حقا ظفر بالسلامة و إن كان باطلا ظفر بالحزم و لايضرُه ذلك٢٢.»

و في باب الجرذ و السنور يتحدث عن كيفية معاملة العدو متكئا علي العقل علي لسان الفأر: « العاقل يصالح عدوه إذا اضطر إليه و يصانعه و يظهر له وُده و يريه من نفسه الإسترسال إليه إذا لم يجد من ذلك بدا ثم يعجل الإنصراف عنه حين يجد إلي ذلك سبيلا... و العاقل يفي لَمن صالحه من أعدائه بما جعل له مِن نفسه و لايثق به كل الثقة و لايأمنه علي نفسه مع القرب منه و ينبغي أن يبعد منه ما استطاع٢٣»

٧-التركيز علي أهمية الحلم :

إلي جانب العقل و دوره الرئيس في حل المعضلات يولي ابن المقفع الحلم عناية كبيرة خاصة في تدبير شؤون الملك. في باب «ايلاذ و بلاذ و ايراخت» يسأل دبشليم الملك بيدبا الفيلسوف عن أهم شئ يجب علي الملك أن يلزم بها نفسه ليحفظ ملكه و سلطانه قائلا: « فاضرب لي مثلا في الأشياء التي يجب علي الملك أن يلزم بها نفسه و يحفظ مُلكه... و يكون ذلك رأس أمره و ملاكه الحلم أم المروءة أم الشجاعة أم الجود؟ قال بيدبا: إن أحق ما يحفظ به الملِك مُلكه الحِلم و به تثبت السلطنة و الحِلم رأس الأمور و ملاكها و أجود ما كان في الملوك٢٤».

كثيرا ما يمدح ابن المقفع العقل و الحزم و يعرّفه خير وسيلة للنجاة من المصائب، فلا نجد أبطال قصص كليلة و دمنة ينجون من ورطة بالصدفة و الحظ بل بالعقل و التدبير كما يقول علي لسان ايراخت و هي ملكة مخاطبة زوجه بلاذ الملك: «إنما أحمد الناس عقلا من إذا نزلت به النازلات كان لنفسه

أشد ضبطا و أكثرهم استماعا من أهل النصح حتي ينجو من تلك النازلة بالحيلة و العقل و البحث و المشورة٢٥».

٨-كفاح هوي النفس:

أفرد إبن المقفع حيزا واسعا من مقدمة كتابه بضرورة محاربة النفس و كفاح حب الدنيا و لذاتها و يعظ نفسه علي لسان برزوية الطبيب في غير موضع لئلا يقع في ورطة حب الدنيا. علي سبيل المثال يخاطب ابن المقفع نفسه علي لسان برزوية الطبيب: «يا نفس أما تذكرين ما بعد هذه الدار فينسيك ما تشرهين إليه منها؟ ألا تستحين من مشاركة الفجار في حب هذه العاجلة الفانية التي من كان في يده منها شئ فليس له و ليس بباق عليه فلا يألفها إلا المغرورون الجاهلون؟ ... و الحياة إلي نفاد كالصنم المفصلة أعضاؤه إذا ركبت و وضعت جمعها في مواضعها مسمار واحد يمسك بعضها علي بعض فإذا أخذ ذلك المسمار تساقطت تلك الأوصال٢٦»

في موضع آخر يخطاب نفسه ناهيا عن الإنغماس في حب الدنيا و خيراتها استرضاء للأهل و الأقارب. «يا نفس لا يحملَنَّك أهلُك و أقاربك علي جمع ما تهلكين فيه إرادة صِلَتهم فإذا أنت كالدُخنة الأرجة التي تحترق و يذهب آخرون بريحها. يا نفس لاتركني إلي هذه الدار الفانية و لا تَغتَرّي بها طمعا في البقاء... يا نفس لايبعُدَنَّ عليك أمر الآخرة فتميلي إلي العاجلة في استعجال القليل و بيع الكثير باليسير... ٢٧»

٩-الدعوة إلي التنسك :

يكثر ابن المقفع من ذم الدنيا علي لسان برزوية الطبيب حيث يدعو نفسه إلي الزهد و التنسك و يكثر من آلية التشبيه في سبيل الإقناع و التوجيه:

«فلم ازدَد في الدنيا و شهواتها نظرا إلا ازددتُ فيها زهادة و منها هربا و وجدتُ النُسك هو الذي يمهد للمعاد كما يمهد الوالد لولده. و وجدته هو

الباب المفتوح الي النعيم المقيم و وجدتُ الناسك قد تدبر فعلته بالسكينة والوقار فشكر و تواضع و قنع فاستغني و رضي فلم يهتم و خلع الدنيا فنجا من الشرور و رفض الشهوات فصار طاهرا ... و انفرد بنفسه فكفِي الأحزان و سخت نفسه بكل شئ و استعمل العقل فابصر العاقبة فَأمِن الندامة و اعتزل الناس فَسَلِم منهم و لم يخَفهم. فلم أزدد في أمر النسك نظرا إلا ازددتُ فيه رغبة حتي هممتُ أن أكون من أهله... و كان عندي أنه ليس شيء من شهوات الدنيا و لذاتها إلا و هو متحول إلي الأذي و مُولِّد للحزن؛ فالدنيا كالماء الملح الذي لايزداد شاربه شربا إلا ازداد عطشا و كالعظم الذي يصيبه الكلب فيجد فيه ريح اللحم فلايزال يطلب ذلك اللحم حتي يدمي فاه ولاينال شيئا مما طلب... و كالكوز من العسل الذي في أسفله السمُّ الذي يذاق منه حلاوة عاجلة و آخره موت زعاف و كأحلام النائم التي يفرح بها الإنسان في نومه فإذا استيقظ ذهب الفرح و كالبرق الذي يضيء يسيرا فيطمع بالنور ثم يذهب بغتة و يرجع الظلام و كدودة القزّ التي تنسج نهارا و ليلا و تهلك وسط نسيجها الذي كلما زادت منه نسجا زاد استحكاما و منعا لها من الخروج...٢٨.»

١٠-ذم الناس لتهالكهم علي حطام الدنيا :

يذم ابن المفقع الناس بسبب تهالكهم علي حطام الدنيا علي لسان برزوية الطبيب « فإنا قد نري الزمان مُدبرا بكل مكان حتي كأن أمور الصدق قد نُزِعت من الناس فأصبح ما كان عزيزا فقده و مفقودا و موجودا ما كان ضائرا وجوده و كأن الخير أصبح ذابلا و الشر ناضرا و كأن الفهم أصبح قد زالت سُبُله و كأن اتباع الهوي و اضاعة الحكم أصبح بالحُكام مُوَكلا و أصبح المظلوم بالحيف مُقِرّا و الظالم بنفسه مستطيلا و كأن الحرص أصبح فاغرا فاه من كل جهة يتلقف ما قَرُب منه و ما بَعُد و كأن الرضي أصبح مجهولا و كأن

الأشرار يقصدون السماء صعودا و كأن الأخيار يريدون بطن الأرض و أصبحت المروءة مقذوفا بها من أعلي الشرف إلي أسفل درك و أصبحت الدناءة ممكنة و أصبح السلطان منتقلا عن أهل الفضل إلي أهل النقص و كأن الدنيا جذله مسرورة تقول: قد غُيبت الخيرات و أظهِرت السيئات٢٩.»

١١-ذم الفقر و الإملاق :

رغم أن ابن المقفع يذم الدنيا و يدعو الي التنسك لكنه لايمدح الفقر و الإملاق بل يعتبره السبب الرئيس في البؤس و التعاسة. في باب الحمامة المطوقة يتحدث ابن المقفع عن مساوئ الفقر و ما يجلب من البؤس و التعس و يرفع من شأن المال خلال قصة الجرذ و الناسك، حيث كان فأر يعيش في بيت ناسك يأكل طعامه و ضاق به الناسك و تحير في دفعه حتي اقترح عليه صديقه أن يحتفر جحره و يجد في جحره كيسا فيه مائة دينار « فاحتفر الضيف حتي انتهي إلي الدنانير فأخذها و قال للناسك ما كان هذا الجرذ يقوي علي الوثوب حيث كان يثب إلا بهذه الدنانير فإن المال جُعِل قوة و زيادة في الرأي و التمكن و ستري بعد هذا أنه لايقدر علي الوثوب حيث كان يثب٣٠».

و يشير إلي أهمية الإقتصاد في تنظيم شؤؤن حياة الإنسان و في العلاقات الإجتماعية بين الناس و الحالات النفسية . فأصيب الفأر الضعف و يفقد قوته حيث زالت سيادته علي الفئران لهذا السبب فنواجه الفأر يمدح المال و يذم الفقر قائلا: « ما الإخوان و لا الأعوان و لا الأصدقاء إلا بالمال و وجدتُ من لا مال له إذا أراد أمرا قعد به العدمُ عما يريده ... و مَن لا مال له لا عقل له و لا دنيا و لا آخرة لأن من نزل به الفقر لايجد بدا من ترك الحياء و من ذهب حياؤه ذَهَب سروره و مَن ذَهَب سرُوره مقت نفسَه و مَن مقَتَ نفسه كثر حزنُه و من كثُر حزنُه قَلَّ عقلُه و ارتبك في أمره و من قَلّ عقلُه كان أكثر قوله و عمله عليه لا له و من كان كذلك فأحري به أن يكون أنكد الناس حظا في

الدنيا و الآخرة.... ووجدتُ الفقر رأس كل بلاء و جالبا إلي صاحبه كل مقت و معدن النميمة و وجدتُ الرجل إذا افتقر أتهمه من كان له مؤتمنا و أساء به الظن من كان يظن به حسنا...٣١»

١٢-لزوم رعاية المراتب الاجتماعية :

يدعو ابن المقفع إلي القناعة بالرتب الإجتماعية و يخالف طموح العوام نحو المراتب الإجتماعية العليا و هذه الفكرة تذكرنا بالنظام الإجتماعي في عهد الساسانيين الذي كان قد بنيت علي أساس التفريق بين الطبقات الإجتماعية و لم يكن تجاوز هذه الحدود الإجتماعية مسموحا لأحد. فكان الشعب الإيراني في عهد الإمبراطورية الساسانية منقسمة إلي أربع طبقات: ١-طبقة رجال الدين ٢-طبقة رجال الحرب ٣- طبقة كتاب الدواوين ٤-طبقة الشعب تشمل الفلاحين و الصناع و التجار و لكل طبقة رئيس٣٢.

«فقال دمنة يوما لأخيه كليلة: يا أخي ما شأن الأسد مقيما مكانه لايبرح و لاينشط خلافا لعادته؟ قال له كليلة: ما شأنك أنت و المسألة عن هذا؟ نحن علي باب ملكنا آخذين بما احبَّ و تاركين ما يكره و لسنا من أهل المرتبة التي يتناول أهلها كلام الملوك و النظر في أمورهم فأمسك عن هذا...قال كليلة لدمنة: راجع عقلك واعلم أن لكل انسان منزلة و قدرا فإن كان في منزلته التي هو فيها متماسكا كان حقيقا أن يقنع وليس لنا من المنزلة ما يحط حالنا التي نحن عليها ثم إن منزلة الإنسان مقدورة عليه منذ الأزل فلاسبيل له إلا الرضي بها كيف كانت٣٣.»

كما يصرح بهذا الأمر في باب الناسك و الضيف حيث ينصح بيدبا دبشليم : «إنه يعد جاهلا من تكلف مِن الأمور ما لايشاكله و ليس مِن عمله و لم يؤدبه عليه آباؤه و أجداده من قبلُ و لم يعرف به أحد مِن أهله و ذوي قرابته فإن العاقل لايتعدي طوره و الولاة أيها الملك و أرباب الأمر أولي

بالإنتباه إلي هذا الشأن و منع حدوثه بين الناس لأن فيه مضرة لهم بما يجرّئ الأنفس علي منازعتهم في منازلهم و يغريهم بمقاومتهم في أحكامهم لما فيه من إطماع السفلة في مراتب أهل الطبقة العالية ... مما يفضي إلي تشوش العالم و فساد الأمور و اختلاط الطبقات و ضياع المراتب و الأقدار٣٤...»

١٣-وجوب الاستسلام أما قضاء الله و الصبر عليه:

علي الرغم من اهتمام ابن المقفع بالعقل و التركيز عليه و الرفع من شأنه لكنه يجعل القضاء و القدر أقوي من العقل البشري و تدبيره و ينبه إلي أن الأنسان لا يمكن أن يكون ناجحا في حياته دائما بسبب عقله و هناك قوي مسيطرة علي العالم و هي قضاء الله فوق رأي البشر، حيث يتحدث عن ضرورة الإستسلام أمامه في باب «ابن الملك و ابن الشريف و ابن التاجر و ابن الأكار»

« قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف: ... فإن كان الرجل لايصيبُ الخيرَ إلا بعقله و رأيه و تثبته في الأمور كما يزعمون فما بال الرجل الجاهل يصيبُ الرفعةَ و الخير و الرجل الحكيم العاقل قد يصيبُ البلاءَ و الضر. قال بيدبا: كما أن الأعمي لا يبصر إلا بقلبه و لا يمشي إلا بحسه مع المهلة و التأني كذلك ينبغي للإنسان أن يسلك في الأمور بعين العقل و البصيرة و بالتثبت و الأناة فقلّ أن يعثر علي هذا غير أن القضاء و القدر قد يغلبان علي ذلك كما قد يعثُر البصير و يسلم الضرير و مَثَلُ ذلك مثَل ابن الملك و أصحابه قال الملك و كيف كان ذلك؟٣٥»

و في ختام هذه القصة يؤكد علي لزوم الصبر علي ما قدر الله لنا و نشكره علي قضائه: « فليعرف أهل النظر في الأمور أن جميع الأشياء بقدر الله و قضائه و أن الإنسان لايجلب لنفسه محبوبا و لايدفع عنها مكروها إلا بإذن الله

تعالي فلتثق نفوس أهل الفكر بذلك و تطمئن إليه فإن ذلك راحة للمُبتَلَي و داعيا لمن تؤاتيه المقدير علي شكر رب العلمين٣٦.»

المبحث الثالث

استراتيجيات الخطاب

فمصطلح الإستراتيجية ليس مصطلحا مستوحى من تقاليد البحث اللساني، بل هو استعارة من مختلف العلوم الحربية، التي تقتضي أنه لا يمكن الدخول في معركة دون إستراتيجية تأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد والعوامل التي من شأنها أن تشكل سندا وعونا في سبيل الانتصار على العدو، ولكل طرف في المعركة إستراتيجية الخاصة به؛ ونجد هذه الاستعارة، أيضا، بارزة في نظرية الألعاب، وهي مجموعة من القواعد، التي تتعدد بها سلوكيات اللاعب في أي مقام معين من اللعب، فيقوم اللاعبون بوضع سيناريوهات عن الأساليب التي سيهاجمون بها على الطرف الآخر وعن كيفية الدفاع عن أنفسهم أثناء هجوم الخصم عليهم. ولا يمكن تحديد الإستراتيجية إلا في الميدان أثناء البدء في عملية اللعب؛ ومن المؤكد أن هذا المصطلح قد تبنته ميادين معرفية عديدة، كعلم النفس المعرفي و علم النفس الاجتماعي و تحليل الخطاب٣٧.

لاينتج المرسل خطابه غفلا من اعتبار السياق فلاخطاب دون انخراطه في سياق معين كما لايتجلي الخطاب دون استعمال العلامات المناسبة فقد يستعمل المرسل اللغة الطبيعية كما قد يستعمل بعض العلامات غير اللغوية ليمارس بها خطابا ... و الناس يعمدون إلي استعمال اللغة بكيفيات منظمة و متناسقة تتناسب مع مقتضيات السياق و هذا التنظيم يعرف باستراتيجية

الخطاب و هذا يعني الخطاب المنجز يكون خطابا مخططا له بصفة مستمرة و شعورية و من هنا يتحتم علي المرسل أن يختار الإستراتيجية المناسبة التي تستطيع أن تعبر عن قصده و تحقق هدفه بأفضل حالة٣٨.

يختار المرسل استراتيجية خطابه وفقا لدواعي السياق التي تصبح معايير لتصنيف استراتيجيات الخطاب انطلاقا من تعريف الخطاب بأنه كل منطوق موجه به إلي الغير للتعبير عن قصد المرسل و لتحقيق هدفه.٣٩

والعوامل المؤثرة في اختيار استراتيجيات الخطاب هما القصد و السلطة و للسلطة أنواع مثلا سلطة المرسل و سلطة المرسل إليه و سلطة المجتمع. تمثل السلطة عاملا في تحديد علاقة طرفي الخطاب و ينعكس أثرها علي اختيار الإستراتيجية التي تجسد تلك العلاقة فهناك بعدين هما: علاقات السلطة و البعد الإجتماعي بين المرسل و المرسل إليه٤٠. أما سلطة المجتمع فتتمثل في ما يسمح باستعماله من ألفاظ اللغة و بعض هذه الإستعمالات تنتمي إلي ظاهرة التأدب مراعاة لذات المرسل إليه و احتراما للمجتمع و قد تمتد سلطة المجتمع إلي أبعد من ذلك حيث تفرض ما هو مناسب من الموضوعات و الإختيارات علي المرسل فلايستطيع أن يقول كل شئ أو يتحدث في أي موضوع٤١. بالنسبة إلي الظروف التي عاش فيها ابن المقفع و كتب كليلة و دمنة نعلم أنه ترجم و كتب هذا الأثر في بداية الدولة العباسية و في عصر خلافة أبي جعفر المنصور و لم تكن العلاقة بينه و بين الكاتب علاقة ودية خاصة بعد تأليف كتابه -رسالة الصحابة- التي هي أشبه شئ ببرنامج ثورة موجهة إلي المنصور و ترجمة كتاب كليلة و دمنة و فيه حملة عنيفة علي الطغاة حيث آل الأمر إلي قتله بأمره٤٢

و كان إبن المقفع مضغوطا تحت سلطة المجتمع الذي ينظر إليه بنظر الريب و يتهمه في دينه و معتقداته بصفته فارسيا ترك الديانة المجوسية و اعتنق

الإسلام و سلطة المرسل إليه و هو الخليفة الذي لايتحمل أي نقد و يفتك بمعارضيه لهذا يضطر أن يلجأ إلي التمثيل و الإستعارة ليوصل رسالته إلي القارئ.

يسعي المرسل في خطابه إلي تحقيق هدف و الإقناع من أهم الأهداف التي يسعي المرسل إلي تحقيقها في خطابه و علاقته بمفهوم السلطة علاقة جوهرية، فالمرسل الذي يسعي إلي إقناع المرسل إليه يمارس سلطة عليه يمكن تسميتها بسلطة الإقناع و بذلك فالإقناع يجسد السلطة و هذه عملية تتحق بكثير من الآليات اللغوية و يعدُّ الحجاج من أبرزها لأنه عمل عقلي في ممارسته لكنه يعتمد علي اللغة في تمثيله مما يسهم في استثمار قالبي المنطق و اللغة و هما القالبان الأساسيان في كل عملية لغوية و في ذلك ما ينزع إلي تغيير المعتقدات بل و توجيه الذهن صوب وجهة محددة و هنا يتجلي تركيز (هابرماس) علي العقلانية بوصفها أساسا في الخطاب.

أما إذا كانت تعوز المرسل السلطة أساسا فإنه يستحوذ عليها بالخطاب عبر آليات الإقناع و قد تكون اختياره الأفضل و في خطاب الإقناع يرتكز خطاب النقد علي سلطة الحجة العلمية تحقيقا لمقصدية معينة مثل إقناع المتلقي و الإقناع من ثمة عملية تفاعلية يحصل بموجبها تغيير المعتقد النقدي بالذي يجب أن يكون عند المتلقي٤٣.

الخطاب الإقناعي هذا نتلمسه في المستوي الواقعي عند العلاقة بين ابن المقفع كمرسل و الخليفة العباسي و بطانته كمرسل إليهم من جهة و في المستوي القصصي التمثيلي عند العلاقة بين بيدبا الفيلسوف كمرسل و دبشليم الملك كمرسل إليه من جهة أخري. فابن المقفع لايمتلك السلطة أمام الخليفة المنصور و بطانته فيستخدم خطاب الإقناع و يرتكز علي سلطة الحجة العلمية و العقلية ليوجه أصحاب السلطة السياسية إلي تغيير اتجاهاتهم و سياساتهم كما

أن بيدبا الفيلسوف أيضا لا يمتلك السلطة أمام دبشليم فيستعمل خطاب الإقناع و آلياته ليصل إلي هدفه و هو إرجاع الملك عن غيه و توجيهه نحو سبيل العدل و الرشاد.

أ- الإستراتيجية التوجيهية:

هذه الإستراتيجية تعد ضغطا و تدخلا ولو بدرجات متفاوتة علي المرسل إليه و توجيهه لفعل مستقبلي معين و هذا هو سبب تجاوز المرسل لتهذيب الخطاب و قد يكون استعمال هذه الإستراتيجية نابعا عن علاقة سلطوية بين طرفي الخطاب.

من مسوغات استعمال الإستراتيجية التوجيهية بإمكاننا أن نشير إلي هذه العوامل:

١-عدم التشابه في عدد من السمات مثل السمة المعرفية بين طرفي الخطاب

٢-الشعور بالتفاوت في مستوي التفكير بين طرفي الخطاب

٣-تصحيح العلاقة بين طرفي الخطاب غير المتكافئين في المرتبة و إعادتها إلي سيرتها الأولي.٤٤

هذه المسوغات متوافرة في العلاقة بين بيدبا و دبشليم في قصص هذا الكتاب. و سماتهما المعرفية و مستوي تفكيرهما يختلفان و يحاول الفيلسوف الهندي تصحيح سلوك الملك. نقرأ في بداية القصة الرئيسية للكتاب هي محاولة بيدبا إصلاح سيرة الملك؛ يعرف ابن المقفع بيدبا هكذا: « و كان في زمانه ﴿دبشليم﴾ رجل فيلسوف من البراهمة فاضل حكيم يعرف بفضله ... يقال له بَيدَبا فلما رأي الملك و ما هو عليه من الظلم للرعية فكر في وجه الحيلة في صرفه عما هو عليه و ردّه إلي العدل و الإنصاف٤٥...» فجمع تلاميذه و تحدث إليهم عن ضرورة محاولة الحكماء لإصلاح الحكام قائلا: « اعلَمُوا إنّي أطَلتُ الفِكرةَ فِي دَبشليمَ و ما هُو عليه مِن الخُروج عنِ العَدل و لزوم الشَرّ و

رَداءَة السيرَة و سُوء العشرة مع الرَعية و نحنُ ما نُروّضُ أنفُسَنا لمثل هذه الأمور إذا ظَهَرت من المُلُوك إلا لنَرُدّهم إلي فعلِ الخَير و لُزوم العَدل و متي أغفَلنا ذلك و أهمَلناهُ لَزِمنا من وُقُوع المَكروه بنا و بُلُوغ المَحذُورات إلينا ألَمُ الجُهّال ... و ليسَ الرأي عندي الجَلاءُ عن الوَطن و لا يسعُنا في حكمَتنا إبقاءُ المَلك علَي ما هو علَيه من سُوءِ السيرة و قُبحِ الطَريقَة و لايمكنُنا مُجاهدتُه بغيرِ ألسنَتنا.»٤٦

لايصعب علينا أن نقرأ ما بين السطور و نفهم أن ابن المقفع يرمز بالفيلسوف إلي نفسه كمفكر و مصلح اجتماعي يريد إصلاح سيرة الملك و يرمز بالملك الظالم إلي المنصور ثاني خلفاء العباسيين.

و في موضع آخر يشبه ابن المقفع سطوة الملوك بسكرة الخمر علي لسان بيدبا: « إنّ المُلوك لَها سَكرةٌ كسَكرة الشَراب . فالمُلوك لاتفيق من السَكرة إلا بمواعظ العلماء و الواجبُ علي المُلُوك أن يَتّعظُوا بمواعظ العلماء و الواجبُ علي العلماء تقويمُ المُلُوك بألسنَتها و تأديبها بحكمتها و إظهارِ الحُجة البَيّنة اللازمَة لهُم ليَرتَدعُوا عَما هُم علَيه من الإعوجاج و الخُروج عن العدل فوَجَدتُ مَا قالَت العلماء فَرضاً واجباً علَي الحُكماء لمُلُوكهم ليُوقظُوهم من سنَة سَكرَتهم كالطبيب الذي يَجبُ علَيه في صناعَته حفظَ الأجساد علَي صحّتها أو ردها إلي الصحّة ، فَكرِهتُ أن يَموتَ أو أموتَ و ما يَبقي علي الأرض إلا مَن يقولُ : كانَ بَيدَبا الفَيلَسوفُ في زمانِ دَبشليمَ الطاغي فَلَم يَردّه عمّا كان عليه٤٧».

للإستراتيجية التوجيهية عدة وسائل لغوية منها الأمر و الإستفهام و التحذير و الإغراء و ذكر العواقب.٤٨ استخدم ابن المقفع كل هذه الآليات خلال كتاب كليلة و دمنة سواء في الحوار بين الفيلسوف و الملك و سواء بين أبطال قصصه.

يعتبر السؤال واحدا من أهم آليات الإستراتيجية المباشرة في الخطاب و لتوظيفه فوائد كثيرة منها:

١-تحقيق الإنسجام بين طرفي الخطاب لفتح المجال في الحديث مع الآخرين

٢-قد يكون مدخلا للحجاج

٣-إدامة السيطرة علي الموقف من لدن المرسل فمنه يبدأ الحديث و إليه ينتهي.

و تتنوع آليات الأسئلة إلي السؤال المباشر و غير المباشر و السؤال المفتوح و المغلق؛ فالسؤال المفتوح هو السؤال الذي يسمح فيه المرسل للمرسل إليه باختيار الإجابة التي يريدها ولايحبذ أن يفرض عليه سلوكا معينا بإجابة معينة.

أما السؤال المغلق فهو الذي يحدد فيه المرسل محور الحديث أولا ثم يحدد إمكانيات خاصة فقط ليختار المرسل إليه إحداها مثل الإجابة بنعم أو لا أو يختار كذا و كذا٤٩.

السؤال من خصائص حكايات الحيوان في الكتب الهندية القديمة حيث كان التقديم للحكايات غالبا بالسؤال و الإستفهام عن أصل المثل الذي وردت فيه الحكاية٥٠. و نري تقنية السؤال و استخدام فعل الأمر تمهدان لبداية الحكايات في هذا الكتاب، و لكن هذه الأسئلة عندما تطرح من الملك تطرح في إطار فعل الأمر غالبا. علي سبيل المثال في بداية باب الحمامة المطوقة «قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف: قد سمعتُ مثل المتحابَين ...فحدِّثني إن رأيتَ عن إخوان الصفا كيف يبتدئ تواصلهم و يستمتع بعضهم ببعض. قال الفيلسوف إن العاقل لا يعدل بالإخوان شيئا فالإخوان هم الأعوان علي الخير ... و من أمثال ذلك مثل الحمامة المطوقة و الجرذ و الظبي و الغراب. قال الملك و كيف كان ذلك؟ ٥١»

و في بداية باب البوم و الغربان نقرأ « قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف: قد سمعتُ مثَل إخوان الصفا و تعاونهم فاضرب لي مَثَل العدو الذي لاينبغي أن يغتَرَّ به و إن أظهر تضرعا و مَلَقا. و اخبرني عن العدو هل يصير صديقا؟ و هل يوثَقُ من أمره بشئ؟ و كيف العداوة و ما ضررها؟ و كيف ينبغي للملك أن يصنع إذا طلب عدوه مصالحته؟ ٥٢»

في بداية باب القرد و الغيلم « قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف: قد سمعتُ هذا المثل فاضرب لي مثل الرجل الذي يطلب الحاجة فإذا ظفر بها أضاعها. قال الفيلسوف : إن طلب الحاجة أهون من الإحتفاظ بها و مَن ظفر بالحاجة ثم لم يحسن القيام بها أصابه ما أصاب الغيلم . قال الملك: و كيف كان ذلك؟ ٥٣»

نري أن الملك هو الذي يبدأ الحوار بطرح السؤال غالبا ليواصل سيطرته علي الخطاب ليبدأ الحديث منه و ينتهي إليه و من جهة أخري ليكون فتح مجال لحديثه مع الفيلسوف. و الأسئلة كما رأينا أسئلة مغلقة يحدد الملك محور الحديث و يفرض علي الفيلسوف سلوكا معينا بإجابة معينة.

ب- إستراتيجية الإقناع :

من الأهداف التي يرمي المرسل إلي تحقيقها من خلال خطابه إقناع المرسل إليه بما يريد أي إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي لديه و من ميزاتها أنها تأخذ بتنامي الخطاب بين طرفيه عن طريق استعمال الحجاج فالحجاج شرط في ذلك لأن من شروط التداول اللغوي شرط الإقناعية.٥٤

الإستعارة و التمثيل من الآليات البلاغية في استراتيجية الإقناع، و استخدم ابن المقفع آلية التمثيل بصورة واسعة في كتابه حيث بإمكاننا أن نعتبر كله

تمثيلا. من أجمل هذه التمثيلات ما ذكره ابن المقفع علي لسان برزوية الطبيب في تصوير حال الدنيا و زوالها و حال الإنسان الغافل الذي يتورط في حبها.

«فلمّا فكرت في الدنيا و أمورها و أن الإنسان هو أشرف الخلق فيها و أفضله ثم هو لايتقلب إلا في الشرور و الهموم عجبتُ من ذلك كل العجب... فالتمستُ للإنسان مَثَلا فإذا مَثَله مَثَلُ رجل نجا من خوف فيل هائج إلي بئر فتدَلّي بها و تعلق بغصنين كانا علي سمائها فَوَقَعت رجلاه علي شئ في طي البئر فإذا حيات أربع قد أخرجن رؤوسهن من اجحارهن ثم نظر فإذا في قعر البئر تنين فاتح فاه منتظر له ليقع فيأخذه فرفع بصره إلي الغصنين فإذا في أصلهما جرذان أسود و أبيض و هما يقرضان الغصنين لايفتران فبينما هو في النظر لأمره و الإهتمام لنفسه إذ بصر قريبا منه بخلية فيها عسل فذاق العسل فَشَغَلته حلاوته و اَلهَته لذته عن الفكرة في شئ من أمره و أن يلتمس الخلاص لنفسه... فلم يزل لاهيا غافلا مشغولا بتلك الحلاوة حتي سقط في فم التنين فهلك. فشبهتُ بالبئر الدنيا مملوءة آفات و شرورا و مخافات و عاهات و شبهت بالحيات الأربع الأخلاط الأربعة التي في البدن ... و شبهتُ بالغصنين الأجل الذي هو إلي حين... و شبهتُ بالجرذين الأسود و الأبيض الليل و النهار ... و شبّهت بالتنين المصير الذي لابد منه ... و شبّهتُ بالعسل هذه الحلاوة القليلة التي ينال منها الإنسان...٥٥»

و نري بيدبا ناجحا في إقناع الملك لأنه استطاع أن يقنع دبشليم ليستمع إلي كلامه. في بداية القصة عندما يذهب الفيلسوف إلي حضرته لينصحه غضب الملك من مصارحته النصح و أمر بسجنه « فلما قضي بيدبا مقالته و قضي

مناصحته أوغر قلب الملك فأغلظ له في الجواب استصغارا لأمره و قال: لقد تكلمتَ بكلام ما كنتُ أظنُّ أن أحدا من أهل مملكتي يستقبلني بمثله و لايقدم علي ما أقدمتَ عليه . فكيف أنت مع صِغَر شأنك و ضعف منتك و عجز قوتك و لقد أكثرتَ إعجابي من إقدامك عليَ و تسلطك بلسانك فيما جاوزت فيه حدك، و ما أجدُ شيئا في تأديب غيرك أبلغَ من التنكيل بك... ثم أمر بحبسه و تقييده. فلما حُبِس أنفذ الملك في طلب تلامذته و من كان يجتمع إليه فهربوا في البلاد و اعتصموا بجزائر البحار٥٦. »

و لكن بعد مدة عندما أرق ذات ليلة و تعرض له سؤال عن الفلك و حركات النجوم تذكر الفيلسوف و ندم علي حبسه و عزم علي إطلاق سراحه و إكرامه. فلما حضر الفيلسوف مجلس الملك أكرمه قائلا: « يا بيدبا أعِد عَلَيّ كلامك كله و لا تَدَع منه حرفا واحدا. فجعل بيدبا ينثر كلامه و الملك مُصغ إليه و جعل كلما سمع منه شيئا ينكتُ الأرض بشئ كان في يده ثم رفع طرفه إلي بيدبا و أمره بالجلوس و قال له: يا بيدبا إني قد استعذبتُ كلامك و حَسُن موقعه في قلبي و أنا ناظر في الذي أشرتَ به و عامل بما أمرتَ٥٧...» و من ثم تبدأ سلسلة الحوار بينهما حيث يطرح الملك أسئلته و يجيب الفيلسوف.

الخاتمة :

خلصت الدراسة إلي أن خطاب إبن المقفع في كتاب كليلة و دمنة يتكون من عدة محاور أهمها تتمثل في ثلاث عشرة ركيزة: ١-العدل أساس الملك ٢-الحكماء أفضل من الملوك ٣-ذم الملوك الذين يظلمون الرعية ولايحترمون العهود و الحرمات ٤-تصوير الملك المثالي ٥-الدعوة إلي مكارم الأخلاق ٦-التركيز علي أهمية العقل و التعقل ٧- التركيز علي أهمية الحلم خاصة عند

ذوي السلطة ٨-كفاح النفس ٩- الدعوة إلي التنسك ١٠- ذم الناس لحرصهم علي الدنيا ١١- ذم الفقر و الإملاق ١٢- لزوم رعاية المراتب الإجتماعية و عدم تجاوزها ١٣- الصبر و الخضوع لقضاء الله. نري ابن المقفع ناقدا و مصلحا. يبين المساوئ و يدل علي الحلول في الوقت نفسه.

فهو ينهي النفس من الإنغماس في حب الدنيا و يحرضها علي ترك الهوي ، و في الوقت نفسه يذم الفقر و الإملاق و يعتبره السبب الرئيس للتعاسة و البؤس. و يركز علي أهمية العقل في تدبير شؤون الحياة و التخلص من المهالك و الصعوبات لكنه في الوقت نفسه ينتبه إلي قدرة الله الفائقة و دور قضائه في حياة الإنسان الذي يغلب كل عقل و رأي و يدعو إلي الصبر أمام مشيئة الله. و يعتبر الملك خليفة الله في أرضه و محور البلاد و رأس كل الأمور لكنه يذم و يهاجم الملوك الطغاة هجوما عنيفا الذين لايراعون عهدا و لا ذمة و ينتهكون الحرمات لمصالحهم و يظلمون الناس عتوا و استكبارا و يصور عاقبتهم السيئة و يحرض المظلومين للثورة و عدم الرضوخ و الإستسلام أمام الظلم.

استخدم ابن المقفع عدة استراتيجيات لإرسال خطابه نحو المرسل إليه سواء في المستوي الواقعي حسب العلاقات الموجودة بينه و بين ذوي السطة خاصة أبي جعفر المنصور و متلقي خطابه من المثقفين و سواء في المستوي القصصي علي أساس العلاقة بين بيدبا الفيلسوف و دبشليم الملك. و من أهمها الإستراتيجية التوجيهية و الإستراتيجية الإقناعية و الإستراتيجية التلميحية. و استخدم آليات الإستفهام و الأمر و التحذير و الإغراء و ذكر العواقب في الإستراتيجية التوجيهية و آليات التمثيل و الإستعارة في الإستراتيجية الإقناعية.

ملخص البحث :

تحليل الخطاب و الإستراتيجيات المختلفة التي يستخدمها الكاتب في خطابه يساعدنا علي فهم أفضل لمفاهيم النص. خاصة في النصوص التي تكونت من بني و مستويات مختلفة مثل كتاب كليلة و دمنة. تجاوز مفهوم تحليل الخطاب من الإقتصار علي دراسة العناصر اللغوية البحتة إلي دراسة الظروف الثقافية والإجتماعية والسياسية التي ينشأ الخطاب في طياتها. في هذا الإطار تدرس القوالب التي يساق الكلام فيها والعناصر اللغوية التي تستخدمها المؤلف كالمفردات، اختيار الأسماء والعناوين وكيفية سوق المعاني في الألفاظ واختيار التعابير التي تعكس وجهات النظر العقائدية أو السياسية أو الإجتماعية والثقافية لمؤلف النص.

خلصت الدراسة إلي أن خطاب إبن المقفع في كتاب كليلة و دمنة يتكون من عدة محاور أهمها تتمثل في ثلاث عشرة ركيزة تشمل أدب الملوك و أدب الرعايا و أدب النفس و أدب الإصلاح. فهو يبين المساوئ و يدل علي الحل في الوقت نفسه. و استخدم ابن المقفع عدة استراتيجيات لإرسال خطابه نحو المرسل إليه سواء في المستوي الواقعي حسب العلاقات الموجودة بينه و بين ذوي السطة خاصة أبي جعفر المنصور و متلقي خطابه من المثقفين و سواء في المستوي القصصي علي أساس العلاقة بين بيدبا الفيلسوف و دبشليم الملك. و من أهمها الإستراتيجية التوجيهية و الإستراتيجية الإقناعية. و استخدم آليات الإستفهام، الأمر، التحذير، الإغراء و ذكر العواقب في الإستراتيجية التوجيهية و آليات التمثيل و الإستعارة في الإستراتيجية الإقناعية.

Abstract

Discourse analysis and the strategies are used by the author help us to have a better understanding of the meanings of text. Especially in the texts that are formed from several structures and levels like Kalila wa Dimna. Discourse analysis passed

studying the linguistic elements to study the cultural, social and political conditions of development of discourse. In this framework the speech models and the linguistic elements such as words, names, titles and the quality of transporting the meanings and choice of expressions with reflect the ideological, social, cultural and political points of view of the author or text are studied.

This study shows that the discourse of Ibn al-Muqaffa' in Kalila wa Dimna formed from twelve axis contains the mores and rules regarding to the kings, people, social reform and Self-purification. He shows disadvantages and the solutions at the same time. He used several strategies including strategy of instruction and persuasion to transport his discourse to the addressee whether in the level of relationship between him and political authority especially Abbasid Caliph Al-Mansur in reality or in the level of relationship between the king and philosopher in the story. And he used some mechanisms as question, order, warning, allegory and metaphor.

Keywords: Ibn al-Muqaffa' -Kalila wa Dimna- Discourse strategies

هوامش البحث

١ فرحان بدرى الحربى، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، دراسة في تحليل الخطاب، ص ٤١ و٤٢.

٢ المصدر نفسه ، ص ٤٣.

٣ ايرنا ريما مكاريك، دانشنامه نظريه هاى ادبي معاصر، ص ٢٦٠.

٤ المصدر نفسه، ص ٤٨

٥ نورمن فركلاف، تحليل انتقادى كفتمان، ص ٧.

٦ نورمن فركلاف، تحليل كفتمان انتقادى، ص ٧ و٨.

٧ دايان مك دانل، مقدمه اي بر نظريه هاى كفتمان، ص ١٧.

٨ لطف الله يار احمدى، كفتمان شناسي راىج و انتقادى، ص ١٤٣ و ١٤٤.

٩ حسن حنفي، تحليل الخطاب، ص ٢٢٥-٢٢٢

١٠ حسن حنفي، تحليل الخطاب، ص ٢٢٤.
١١ حنا الفاخوری، الجامع في تاريخ الأدب العربی، ص ٥٤٣-٥٣٣.
١٢ ابن عبد ربه، العقد الفرید، ج١، ص ٢٣.
١٣ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص ٦٧.
١٤ ابن المقفع، کـليلة و دمنة، ص ٣٦.
١٥ المرجع نفسه ، ص ٤١.
١٦ المرجع نفسه، ص ٣٦٣.
١٧ المرجع نفسه، ص ٣٦٥.
١٨ المرجع نفسه، ص ٤٨.
١٩ المرجع نفسه، ص ٤٤٧.
٢٠ المرجع نفسه، صص ٤٣ و ٤٤.
٢١ المرجع نفسه، ص ٦٥.
٢٢ المرجع نفسه، ص ٣٣٧.
٢٣ المرجع نفسه، ص ٣٥٧.
٢٤ المرجع نفسه، ص ٣٩٣.
٢٥ المرجع نفسه، ص ٣٩٧.
٢٦ المرجع نفسه، ص ٨٤ و ٨٥.
٢٧ المرجع نفسه، ص ٨٥ و ٨٦.
٢٨ المرجع نفسه، ص ١٠١-٩٩.
٢٩ المرجع نفسه، صص ١٠٣ و ١٠٤.
٣٠ المرجع نفسه، ص ٢٧٨.
٣١ المرجع نفسه، صص ٢٧٩-٢٧٨.
٣٢ ارثر کريستنسن، ايران في عهد الساسانيين، صص ٨٦-٨٤.
٣٣ ابن المقفع، كليلة و دمنة، صص ١٤٤-١٤١.
٣٤ المرجع نفسه، صص ٤٢٢ و ٤٢٣.
٣٥ المرجع نفسه، ص ٤٣٤.
٣٦ المرجع نفسه، ص ٤٤٠.

٣٧ بلخير عمر، مقاصد الكلام و استراتيجيات الخطاب في كتاب كليلة و دمنة لابن المقفع، ص ٢٥١.
٣٨ عبدالهادى بن ظافر الشهرى، استراتيجيات الخطاب، ص ٥٥ و ٥٦.
٣٩ المرجع نفسه، ص ٨٦.
٤٠ المرجع نفسه، ص ٢٣٥ و ٢٣٦.
٤١ المرجع نفسه ص ١٨٠ و ٢٣١.
٤٢ بطرس البستاني، أدباء العرب في الأعصر العباسية، ص ١٣٩-١٣٧ و حنا الفاخورى، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ج١، ص ٥٣٤ و ٥٣٥.
٤٣ عبدالهادى بن ظافر الشهرى، استراتيجيات الخطاب، ص ٢٤٢ و ٢٤٣.
٤٤ المرجع نفسه، ص ٣٢٩-٣٢٢.
٤٥ المرجع نفسه، صص ٣٥ و ٣٦.
٤٦ ابن المقفع، كليلة و دمنة، ص ٣٦.
٤٧ المرجع نفسه، ص ٥٤ و ٥٥.
٤٨ عبدالهادى بن ظافر الشهرى، استراتيجيات الخطاب، ص ٣٤٠.
٤٩ المرجع نفسه، ص ١٣٢ و ١٣٣.
٥٠ محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص ١٥٠.
٥١ ابن المقفع، كليلة و دمنة، ص ٢٦٣.
٥٢ المرجع نفسه، ص ٢٩٣.
٥٣ المرجع نفسه، ص ٣٣٤.
٥٤ عبدالهادى بن ظافر الشهرى، ص ٤٤٤ و ٤٤٦.
٥٥ ابن المقفع، كليلة و دمنة، صص ١٠٥ و ١٠٦.
٥٦ المرجع نفسه، ص ٤٧.
٥٧ المرجع نفسه، ص ٤٩.